

شكسبير أو ملتون ، لأننا نكون دائماً واعين عظمة الرجل والمعجزات التي يؤديها باللغة . وقد نقترّب أكثر مع تشوسر ، لولا أن تشوسر يستعمل لغة أخرى هي أكثر خشونة من وجهة نظرنا . وقد ترك شكسبير ومilton ، كما يظهر التاريخ اللاحق ، المجال مفتوحاً لإمكانات كثيرة لاستعمالات أخرى للغة الانكليزية في الشعر ، على حين يغدو من الأصح بعد فرجيل أن يقال ، إنه لم يكن هناك تطور عظيم ممكن إلى أن غدت اللغة اللاتينية شيئاً مختلفاً .

وعند هذه النقطة أود أن أعود إلى مسألة سبق لي الإيحاء بها ، وهي مسألة هل كان إنجاز عمل كلاسيكي بالمعنى الذي كنت أستعمل به المصطلح خلال هذا الحديث ، يعد ، بكل معنى الكلمة، خيراً لا شائبه فيه ، بالقياس إلى الشعب وإلى لغته الأصلية — على الرغم من أنه مدعاة للفخر بصورة لا تقبل الجدل . ويكاد يكفي ، لكي يخطر هذا السؤال في ذهن المرء أن يتأمل ببساطة ، الشعر اللاتيني بعد فرجيل وأن يكون قد أخذ بعين الاعتبار الحد الذي وصل إليه الشعراء اللاحقون في حياتهم وعملهم تحت ظل عظمة ذلك العمل الكلاسيكي ، بحيث نشئ عليهم أو ندمهم وفقاً للمقاييس التي وضعها — فنعجب بهم أحياناً ، لاكتشاف تغيير كان جديداً ، أو حتى لمجرد إعادة ترتيب أنماط الكلمات بحيث تترك أثراً ضئيلاً ساراً يذكر بالأصل البعيد . ولكن الشعر الانكليزي ، وكذلك الفرنسي ، يمكن أن يُعدّ من ذوي الحظ في هذا الأمر : وهو أن أعظم الشعراء لم يستهلكوا إلاّ مجالات خاصة . إننا لا نستطيع أن نقول أنه وجدت ، منذ عصر شكسبير ، وبالتالي منذ عصر راسين أيّ مسرحية من الدرجة الأولى حقاً في انكلترا أو في فرنسا . ومنذ عهد ملتون لم نحصل على قصيدة ملحمية عظيمة على الرغم من وجود قصائد طويلة عظيمة . ومن الحق أن كل شاعر متفوق سواء أكان كلاسيكياً أم لم يكن ، يميل إلى استهلاك الأرض التي يحرثها بحيث يجب أن تترك في حالة راحة عدة أجيال بعد أن تعطي محصولاً متضاثلاً .

وهنا يمكن أن يعترض معترض بأن ذلك التأثير في الأدب الذي أعزوه إلى الكلاسيكي لا ينجم عن السمة الكلاسيكية لذلك العمل ، بل ينجم ببساطة